

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسباني على الصعيد الوطني، على غرار الأحزاب الشيوعية بالمناطق الإسبانية التي تتمتع بنظام التسيير الذاتي (بلاد الباسك، غاليسيا، الخ...)، بيد أن الحزب الاشتراكي الكطالوني الموحد يحتفظ باستقلالية تنظيمية ضمن التوجيهات المتفق عليها وطنيا.

والرفيق "الرامون" الذي يناهز عمره الستين سنة، مناضل ذو تجربة طويلة، قضى خلالها ثلاثة وثلاثين سنة في ظروف العمل السري، وعاش كل تجارب الحزب منذ تأسيسه إلى يومنا هذا.

استقبلنا الرفيق "الرامون" بمقر اللجنة المركزية للحزب، وبعد كلمات الترحيب المعتادة، عبر لنا عن تضامن حزبه المطلق مع نضال الشعب المغربي وقواه الثورية التي تعمل في ظروف صعبة، "خاصة وأننا نعرف جيدا معنى وقيمة التضامن في مثل هذه الظروف، التي تشابه إلى حد مرحلة من مراحل نضالنا ضد الديكتاتورية" على حد قول الرفيق "الرامون"، الذي أضاف قائلا: "وفي إطار هذا التضامن والتعاون، فإننا مستعدون لتزويدكم بكل خلاصات تجربتنا، عسى أن تساعد المناضلين الثوريين المفارقة، ولو بقسط وجيز، على حل الاشكالات المطروحة عليهم. وفي هذا الانجاء فإني مستعد للاجابة على كل أسئلتكم بدون تحفظ".

وبالفعل، دار حديث مطول فيما بيننا، دام عدة ساعات، تناول القضايا الهامة المتعلقة بتجربة الحزب الاشتراكي الكطالوني الموحد، بما فيها السير الداخلي للحزب، عالجها عضو المكتب السياسي بمنتهى الصراحة والوضوح. وفيما يلي، نقدم للمناضلين خلاصة مقتضبة من هذا الحديث.

إعادة تنظيم الحزب ما بعد الحرب الأهلية

بعد توقف الحرب الأهلية ضد فرانكو، وجدنا أنفسنا في وضعية جد صعبة، فعندما دخلت قوات فرانكو الفاشية للمنطقة منعت كل التنظيمات الديمقراطية، بل حتى التنظيمات الجماهيرية التي لم تكن لها أية صبغة سياسية، لأنها تعتبرها تهديدا وتحديا للنظام الفرانكاوي.

أضطرت مجموعة كبيرة منا، سواء الذين كانوا يمارسون الكفاح المسلح أو العمال، إلى عبور الحدود الفرنسية بعد زحف قوات فرانكو على آخر مواقعنا العسكرية، وانسحبت كذلك اللجنة المركزية والمسؤولون السياسيون على المناطق، وكذا القادة النقابيون للاتحاد العام للشغل.

ولقد وضعنا الحكومة الفرنسية في معسكرات جماعية، فأصبحنا في وضعية خاصة سمحت لنا بإعادة تنظيم هياكل الحزب، والتعاون مع كل القوى السياسية والديمقراطية

أساليب تنظيمية في مواجهة حكم ديكتاتوري

تأسس الحزب الاشتراكي الكطالوني الموحد سنة ١٩٣٦، من خلال مؤتمره التأسيسي الأول الذي وحد بين أربعة روافد أساسية، وهي:

- الحزب الشيوعي الكطالوني.
- الجناح اليساري لفدرالية الحزب الاشتراكي بكطالونيا.
- الجناح المدعو بالحزب العمالي داخل الاتحاد الاشتراكي الكطالوني.
- الحزب الكطالوني البروليتاري.

لقد تم توحيد كل هذه الروافد على أساس أرضية مشتركة تنص على الانضمام للاممية الثالثة.

ومنذ تأسيس الحزب الاشتراكي الموحد بكطالونيا - الذي عرف أساسا كحزب عمالي باعتبار الكثافة الصناعية والعمالية بمنطقة كطالونيا - وهو يخوض نضالا دؤوبا للقضاء على الفاشية والديكتاتورية، ومن أجل تحقيق العدالة الاجتماعية والديمقراطية الحقيقية بإسبانيا. وقد عرف نضاله هذا، مراحل مختلفة سواء بالنسبة للحقبة التي أرغم فيها على العمل السري، بعد أن قرر فرانكو إلغاء جميع الأحزاب والتنظيمات السياسية والجماهيرية، أو بالنسبة للمرحلة الحالية التي يعمل فيها الحزب (في وضحة النهار) على تصفية رواسب النظام الفرانكاوي والدفاع عن مصالح الطبقة العاملة ضمن أوضاع "الديموقراطية الصغيرة" الراهنة، على حد تعبير مسؤولي الحزب.

والجدير بالذكر أن الحزب الاشتراكي الكطالوني الموحد أصبح يضم اليوم في صفوفه حوالي خمسمائة ألف عضوا، كما أن له حاليا خمسة وعشرون ممثلا داخل برلمان منطقة كطالونيا، وثمانية نائب برلماني على الصعيد الوطني الإسباني.

لقد أتاحت الفرصة "للاختيار الثوري" للالتقاء بأحد أعضاء المكتب السياسي للحزب، الرفيق "الرامون"، وهو أيضا عضو، كباقي أعضاء المكتب السياسي، في

التي عبرت الحدود، وخاصة اليسار الجمهوري الكاتالوني، والكنفدرالية الوطنية للشغل وباقي الأحزاب الوطنية. وفي منتصف ١٩٣٩، أصبح التنظيم قائما بذاته، إذ تمكنا من تنسيق كل أقسام الحزب سواء داخل المعسكرات أو خارجها مع اللجنة المركزية. كان عملنا يسير بتنسيق مع الحزب الشيوعي الإسباني، لأنه يتوفر على فيالق كاملة من الجيش الجمهوري في المنطقة، ولأن طبيعة المرحلة كانت تحتتم علينا توحيد وتكثيف الجهود وطنيا، لمواجهة الوضعية الجديدة بالرغم من الاستقلالية التنظيمية الموجودة بين الحزبين.

لقد كانت الانطلاقات الأولى لإعادة تنظيم الشيوعيين بإسبانيا من كاتالونيا، حيث ركزنا الخلايا الأولى للحزب خاصة في صفوف تنظيمي الشبيبة الاشتراكية والشيوعية، اللتان لعبتا دورا كبيرا في الحرب ضد فرانكو. وهذه الخلايا هي التي شكلت النواتج الأولى لاحياء التنظيم الحزبي بكاتالونيا، بالرغم من الضربة القاسية التي تعرضنا لها سنة ١٩٤٠: اعتقالات جماعية واعدامات. وفي الخارج، واصلنا نضالنا، بتعاون مع القوى التقدمية الفرنسية، ضد النازية التي اكتسحت أوروبا آنذاك، وكذلك مواجهة حكومة "فيشي" وقواتها القمعية، إذ تمكنا من تحرير جزر كبير من جنوب فرنسا، وفي نفس الوقت نظمنا المقاومة الشعبية ضد فرانكو، حيث التحقت بالداخل مجموعات من المقاومين. وهكذا تمكنا من الجمع بين العمل التنظيمي السياسي السري والعمل العسكري المسلح.

وحدة الخط الايديولوجي

إن عملنا هذا، لم يمنحنا من اعطاء أهمية كبرى لتوضيح الخط الايديولوجي للحزب الشيوعي الكاتالوني، وتعميقه بالحوار مع كل القوى الوطنية الإسبانية والكاتالونية، فكانت النتيجة هي ميلاد الحزب الاشتراكي الموحد لكاتالونيا، كتتويج لتوحيد المفاهيم الايديولوجية في خضم النضال اليومي، بين أربعة أحزاب. وقد جعلت هذه الأحزاب الأربعة الموحدة من الاشتراكية العلمية قاعدتها للتحليل السياسي والاجتماعي، وأعطت أهمية كبرى للتطورات التي كانت تشهدها الثورة البروليتارية بالاتحاد السوفياتي.

وإذا كانت الماركسية اللينينية تتعرض اليوم لبعض الانحرافات والتاويلات، فإننا نؤمن بأنها قادرة على استيعاب كل التطورات الاجتماعية التي حدثت في أوروبا الغربية عموما، وكاتالونيا خصوصا، وقابلة للاغتناء بالتجارب النضالية الجديدة التي اكتسبتها شعوب العالم في نضالاتها اليومية. والخلاصة أننا ناضلنا على أساس توحيد كل القوى السياسية التقدمية ضد

الفاشية، وعملنا على حث باقي القوى للتوحيد لمواجهة الفاشية والديكتاتورية وطنيا ودوليا.

العمل النقابي وسط الطبقة العاملة بكاتالونيا

لقد كانت استراتيجيتنا وهدفنا كمناضلين على المستوى النقابي، هو إعادة بناء الاتحاد العام للشغل الذي كان نقابتنا قبل وخلال الحرب الأهلية. لقد غادرنا اليسار المتطرف بعد الحرب الأهلية، فأصبحنا نتحمل وحدنا مسؤولية وأعباء النضال اليومي.

إلا أن ظروف القمع، واجبارية الانتماء للنقابة التي خلقها فرانكو، حيث كان رب العمل يقتطع الاشتراك فيها مباشرة من اجرة العامل، وكذلك استحالة العمل النقابي السري، جعلنا نراجع سياستنا في هذا المجال، فتخلينا على الاتحاد العام للشغل، وتسربنا الى التنظيم النقابي الذي خلقه النظام الفرانكاوي، لكونه الإطار القانوني والشرعي الوحيد الذي يمكن العمل داخله من أجل فرض مطالب العمال، والعمل على تحقيقها.

لقد جعلنا من هذه النقابة وسيلة للاتصال بالعمال، وأداة للضغط على النظام الفرانكاوي، الشيء الذي أرغمه على التراجع عن بعض القوانين القمعية التي كانت تمنع اجتماعات العمال وانتخاب ممثليهم أمام إدارات الشركات. وكنا نحاول باستمرار تسريب المناضلين الثوريين لتحمل هذه المسؤولية، لكن طبعا دون الكشف عن انتمائهم. وبهذه الطريقة، بدأنا في كسب عدة مواقع في مختلف قطاعات الشغل والمنظمات الجماهيرية، حيث أصبح لنا في كل مركز للشغل، أو داخل أية لجنة لمنظمة جماهيرية، عنصر ثوري أو متعاطف على الأقل. لكننا مع ذلك لم نستطع تغطية كل المواقع نظرا لظروف المرحلة، إلا أننا استطعنا قطع الخطوات الأولى نحو توحيد المطالب العمالية الأساسية، كوضع قائمة المطالب المشتركة للعمال المنتمين الى قطاع واحد، وعلى أساسها تجند طاقات الطبقة العاملة. لقد كان مناضلونا - حسب الخطة الحزبية المدروسة - يلعبون الدور الأساسي في الدفع بالمد النضالي، باعتبارهم الطليعة، حيث أصبحت نقابة فرانكو عاجزة على توقيف مد العمال، واضطرت الى تبني مطالبهم.

وهكذا، فقد كان عملنا بين صفوف الطبقة العاملة يتوخى الدفع بالنضال العمالي نحو تحقيق المزيد من المطالب، ونحو المزيد من التنسيق. ولقد شكلت مدينة برغلونة وضواحيها - باعتبارها منطقة التجمع العمالي - مركز الانطلاق نحو النضال المشترك، وتمازج المناضلين الثوريين بالطبقة العاملة، وانجاز الجزر الأساسي لبناء نقابة اليوم "اللجان العمالية"، وتقوية حزبنا.

لقد استمرينا في النضال داخل نقابة فرانكو كمعارضة نقابية الى نهاية ١٩٦٤، بعدما خلقنا الجو النضالي والوعي العمالي الذي مكنا من خلق القوة الاولى "للجان العمالية" في ظروف شبه سرية. وطبعاً، فلقد تعرضت الطبقة العاملة لكل أساليب المراوغة والطرود والتهديد والاعتقالات والإغتيالات راح ضحيتها العشرات من رفاقنا، بانطلاق العمل في شكله الجديد، انطلق العمل الدعائي والاعلامي، اذ اصدرنا تعليماتنا الى كل المناضلين الحزبيين، ومناضلي اللجان العمالية السرية لانشاء اجهزة اعلامية ومطبوعات دعائية الى حين تكوين لجنة التنسيق، مما جعل قوات القمع تعمل بكل الوسائل للقضاء على هذا المد الذي ينمو بسرعة وعلى كل المستويات.

التنظيم الحزبي

لقد كانت المرحلة التي كنا نجتازها تفرض علينا تنظيماً دقيقاً، حيث اضطررنا الى تنظيم هياكل حزبنا بشكل عمودي حسب القطاعات الاجتماعية بحيث يبقى كل قطاع مفصول عن القطاعات الاخرى. وهكذا كان تنظيمنا الحزبي داخل المؤسسات يتكون من خلايا مستقلة بعضها عن بعض، وفي الاحياء السكنية من "لجان الاحياء" - في كل حي على حدة - تشرف عليها لجنة المقاطعة.

لقد اعطينا للعمل وسط المثقفين اهمية كبيرة كاسلوب لفتح النقاش حول المبادئ والافكار التقدمية، واعتمدنا بالاساس على تنظيمهم حسب المهنة: المهندسون، الاساتذة، الخ...

وفيما يخص قطاع الشبيبة، فقد اعتمدنا على الاحياء الشعبية والوسط الطلابي، حيث كنا ننظم تجمعات شعبية، حفلات موسيقية، مسرح، الخ... وقد مكنتنا هذه الوسائل من الاتصال والاحتكاك بالشباب، وبالتالي تاثيرهم وتوسيع قاعدة شبيبة الحزب.

بالاضافة الى كل هذه التنظيمات، كانت هناك مجموعات مهمتها الرد على القمع الفاشي بتصفية العناصر الفاشية "اصحاب الاقمصة السوداء"، او القيام بعمليات اخرى لضرب بعض مراكز النظام الفرنكاوي.

اما بالنسبة للقطاع الفلاحي، فلقد كان له دور هام على الصعيد الوطني الاسباني، الا ان عملنا نحن بكاتالونيا كان ضعيفاً نسبياً في هذا القطاع، نظراً لكون كاتالونيا ليست بمنطقة فلاحية (يشكل القطاع الفلاحي بها ٨٪ من مجموع اليد العاملة).

ركزنا نشاطنا في هذا القطاع، داخل الجمعيات الفلاحية التي انشأها نظام فرانكو، والمعروفة بـ "الهرمندياديس"، وانطلقنا من المشاكل التي كانت تطرح للفلاح في عمله اليومي وتشكل حافزاً كافياً لتجنيدهم من اجل الدفاع عن مصالحهم. هكذا تمكنا من

تجنيد فلاحين المنطقة حول مسألة الفوارق الشاسعة فيما بين اسعار المنتجات التي يبيعها الفلاح اجبارياً "لتعاونيات" النظام الفرنكاوي، واسعار نفس المنتجات عندما تعرض في السوق. وهذه الفوارق كانت طبعاً مصدراً أساسياً لاغتناء البورجوازيين والفاسشين. كما جندنا الفلاحين داخل الجمعيات الفلاحية حول مسألة الارض، والحبوب، الى غير ذلك من المطالب المادية التي خضنا من اجلها عدة نضالات وحققنا مكاسب هامة لفلاحين المنطقة.

والعبارة الاساسية من هذه التجربة هي انه من السهل توحيد الفلاحين وتجنيدهم اذا ما كانت مشاكلهم الاساسية هي محور النضال.

المعتقلون السياسيون وحركة التضامن

هذا فيما يتعلق بمختلف القطاعات التي ركزنا فيها تنظيماتنا الخلية المستقلة. وتجدر الإشارة الى اننا اعطينا كذلك اهمية خاصة لمسألة المعتقلين السياسيين، حيث عملنا على انشاء حركة للتضامن والتنديد بالقمع والاعتقالات. وتعتمد هذه الحركة اساساً على النساء اللواتي يقمن بجمع المساعدات المادية في الشوارع، والمنازل، والاسواق العامة، والدكاكين، وفي نفس الوقت يقمن بالعمل الدعائي لصالحنا ضد فرانكو.

ولتوسيع هذا العمل، وتنويع أساليب النضال، انشأنا مناضلونا بكل حي ومقاطعة لجنة خاصة للتضامن مع المعتقلين السياسيين، حيث ان الظروف التي عشناها آنذاك كانت جد صعبة: فالمئات من رفاقنا كانوا داخل السجون، وبالتالي فان تسديد معاش عائلاتهم كان يقع على عاتقنا، بمساعدة مختلف المنظمات الديمقراطية الاجنبية وخاصة منها الفرنسية.

التنسيق والمركزية الديمقراطية

ان اسلوب التنسيق بين كل اجهزة الحزب وخلاياه في مختلف القطاعات كان يتم دائماً بشكل عمودي، ولم تكن هناك أية اتصالات تنسيقية مباشرة بين الخلايا، بل كان الكل يمر عبر اللجنة المركزية تفادياً لكل خطأ قد يحدث.

العمل الحزبي في ظل نظام ديكتاتوري يتطلب كثيراً من المركزية وقليلاً من الديمقراطية، لذا يجب ان يكون القرار السياسي مركزياً، وای اسلوب اخر في العمل لا يمكن ان يؤدي الا الى تشتيت الحزب وتقسيمه.

لكن لا يجب فهم المركزية بجرمان المناضلين من التعبير عن آرائهم، بل يجب ربط المركزية بالديمقراطية، أي ان المركزية لا يجب ان تشخص بل يجب ان

تفتح النقاش السياسي بين المناضلين، وتكون خطوة الى الامام في النقاش حتى تكون كل القرارات المتخذة قياديا مبنية على ما تشعر وتؤمن به القاعدة. اننا لم نكن ضد الديمقراطية، بل نحن حمايتها، لكن الهدف الذي كان اساسيا بالنسبة الينا هو استمرار الحزب.

أما الآن، ونحن كحزب شرعي معترف به قانونياً، فانا نؤكد باستمرار على ممارسة مبدأ الديمقراطية بشكل يسمح لكافة المناضلين المساهمة بأفكارهم وآرائهم في توسيع وتنمية الحزب، بحيث أن شعارنا الأساسي بهذا الصدد أصبح على عكس ما كان عليه في مرحلة النظام الفرئكاوي، أي أننا نمارس اليوم كثيراً من الديمقراطية وقليلاً من المركزية.